

- نعم، ولكن حلفت عليك إلا أن تأكل.
- شكرته وأكلت من قصعته.
- سُم الله وكل يا شيخ.
- جزاك الله خيراً.
- أبداً يكفي اثنان، دائمًا أحضر فطور جاري في المقادير.. أتعرف أجر من فطر صائمًا.. لا شك أنك تعرف يا شيخ.
- دعوت له، وأخذت تحت الحاجة أكل، واتحدت معه عن أسرته ومصاعبه المادية. فبما إيمانه عميقاً، وتوكله مطلقاً مع ما يواجهه من نوائب.
- لا أملك بيتك ولكني مطمئن.. مطمئن تماماً لو نزل القضاء قريباً.
- كيف، هل هناك أقرباء يرعون أسرتك؟
- يا شيخ، كنت أحسبك ستفهمون. وراءهم من يطعم الطير في أغشاشها، ويرزق الأجنحة في الأرحام.. لن ينساهم ربهم، إنني أتركهم في حال أسعده من حالي، حين تركني والدي يتيمًا.. دع عنك المستقبل وتأمينه.. لا يؤمن القادم إلا رازق كل ذي كيد رطب !!
- صدقت، لكن الأسباب مطلوبة.
- علِم الله أنني لم أقصر.. هأناذا أقطع رحلتي السبعين طلباً للعلاج. وهماهم أهلي يطلبون معي أن أقلل من جهدي بسبب المرض.. إنني أعمل القهوة في حفلات الأغراض... وهي مستوره... مadam أنه رزق شريف، وكده لا يعي.. فأنا بخير.
- استمر الحديث حتى قطعته إطارات الطائرة وهي ترتطم بالأرض.. ولا أدرى لماذا شعرت بالارتباط بهذا الإنسان البسيط، لقد تعلمت منه معاني عظيمة تعرفها جميعاً، لكن لا يطبقها أو يمارسها بتلك القناعة سوى من رزقوا توكل الطير الخماص وهي تندو. كم كان رائعًا وهو يضع مفاهيم القدر والسبب. وكم كان مقنعاً وهو يعيش النظرية والتطبيق بلا انقسام. كم كان كريماً وهو الفقير، ومقداماً وهو الصغير، وشريفاً وهو المكافح، ومطمئناً في عصر القلق.
- ودعته وأنا أقول كما قال أحد العلماء: «الله أمنحني إيماناً كإيمان العجائز» وتفرقنا
- وأنا أصر أن يقبل دعوتي لإصاله للمستشفى، وهو يجيب بلهجة حازمة:
- سائق سيارة الأجرة ينتظري.. إنني أعرفه، وأنا أعينه وهو أبو العيال، عندما أنقذه الأجرة..
- لا جعلك الله سبباً في قطع رزق محتاج !!
- حقاً كم هو عظيم هذا الدين، وهو يحوّل هذه الشخصيات إلى أمثلة للفطرة السليمة، والإيمان العميق في عصر القلق والبعد عن الله !!.

القصة الثانية: إذا كنت تستطيع فافعل.

أَتَى رَجُلٌ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ -رَحْمَهُ اللَّهُ- فَقَالَ: يَا أَبا إِسْحَاقَ، إِنِّي مُسْرِفٌ عَلَى نَفْسِي، فَأَعْرِضْ عَلَى مَا يَكُونُ لَهَا زَاجِرًا وَمُسْتَقْدِداً. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنْ قَبِيلَتْ خَمْسَ حِصَالَ وَقَدِرْتَ عَلَيْهَا، لَمْ تَضْرِكَ مَعْصِيَةً. قَالَ الرَّجُلُ: هَاتِ يَا أَبا إِسْحَاقَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا الْأُولَى، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِي اللَّهَ تَعَالَى، فَلَا تَأْكُلْ مِنْ رِزْقِهِ. قَالَ الرَّجُلُ: فَمِنْ أَيْنَ أَكُلُّ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ رِزْقُهُ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا هَذَا، أَفَيَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَأْكُلَ رِزْقَهُ وَتَعْصِيَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، هَاتِ الْثَانِيَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَهُ، فَلَا تَسْكُنْ شَيْئاً مِنْ بِلَادِهِ. قَالَ الرَّجُلُ: هَذِهِ أَعْظَمُ، فَأَيْنَ أَسْكُنْ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا هَذَا، أَفَيَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَسْكُنَ بِلَادَهُ وَتَعْصِيَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا... هَاتِ الْثَالِثَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَهُ، وَأَنْتَ تَأْكُلَ رِزْقَهُ، وَتَسْكُنَ بِلَادَهُ، فَانْظُرْ مَوْضِعاً لَا يَرَاكَ فِيهِ فَاعْصِيهِ فِيهِ. قَالَ الرَّجُلُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا هَذَا وَهُوَ يَطْلُعُ عَلَى مَا فِي السَّرَّائِرِ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا هَذَا أَفَيَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَأْكُلَ رِزْقَهُ، وَتَسْكُنَ بِلَادَهُ وَتَعْصِيَهُ وَهُوَ يَرَاكَ، وَيَعْلَمُ مَا تُجَاهِرُ بِهِ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، هَاتِ الرَّابِعَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِذَا جَاءَكَ مَلَكُ الْمَوْتِ؛ لِيَقْبِضَ رُوحَكَ، قَفِلْ لَهُ: أَخْرُنِي، حَتَّى أَتُوبَ تَوْبَةَ نَصْوَحاً، وَأَعْمَلَ صَالِحاً. قَالَ الرَّجُلُ: هَاتِ الْخَامِسَةَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِذَا جَاءَكَ الرَّبَّانِيَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِيَأْخُذُوكَ إِلَى النَّارِ، فَلَا تَذَهَّبْ مَعْهُمْ. قَالَ الرَّجُلُ: إِنَّهُمْ لَا يَدْعُونِي، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنِّي!! يَا إِبْرَاهِيمُ، حَسْبِيَ حَسْبِي. أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. فَكَانَ لِتَوْبَتِهِ وَفِينَا: فَلَزِمَ الْعِبَادَةَ، وَاجْتَبَ الْمَعَاصِي، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

(من كتاب الأجبوبة المسكتة)

القصة الثالثة: ضيف المساء.

عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلاً جَهَدَهُ الْجُوعُ؛ فَفَطَرَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَلَمَّا أَمْسَى أَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ لَكِ أَنْ نَطْوِي لِيَلْتَاهَا هَذِهِ لِضَيْفِنَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِذَا قَدِمْتِ الطَّعَامَ فَادْنِي إِلَى السِّرَاجِ، كَأَنَّكِ تُصْلِحِينَهُ فَأَطْفَئِيهِ، فَفَعَلَتْ. وَجَاءَتْ بِشَرِيدَةٍ، كَأَنَّهَا قَطَاةً فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِما، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السِّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصْلِحُهُ فَأَطْفَأَتْهُ. فَجَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَضْعُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَّةً؛ فَأَطْلَعَ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ: «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ الْلَّيْلَةَ»؛ فَفَرَغَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ: أَيُّ كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: كَذَا وَكَذَا (قَوْلُهُ لِامْرَأَتِهِ)؛ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: كَانَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «فَوَاللَّهِ، لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكُمَا الْلَّيْلَةَ».